النشاط الثقافي في العالم

ايطاليا

رسالة من نبيل مهايني

شعراء المقاومة الفلسطينية

نشرت مجلة « الثورة الفلسطينية » التي تصدر في روما عن « اللجنة الايطالية لدعم شعب فلسطين » المقال التالي بقلم بيانكا ماريا سكارشا في عددها الخامس :

ان الكلام عن ثقافة فلسطينية حديثة يعني الاعتراف بكيان فلسطيني بالمعنى القومي الحديث للكلمة ، كيان يعود مولده لعملية اليقظة القومية في مختلف البلاد العربية وذلك داخل تلك الحركة السياسية والثقافية التي نمت خلال القرن الماضي في مناطق الامبراطورية العثمانية الاكثر تقدما ، ومنها مصر بصورة خاصة، والتي انتشرت بعدها في كافة انحاء المنطقة العربية بعد ان اخذت اسم اليقظة العربية والتي كان اشبينا لا اراديا لها الاستعمار الاوروبي في القرن السابق .

وهكذا فان تحليل الاصول الحديثة للثقافة الفلسطينية لا بد وان يتتبع ولفترة معينة التاريخ العربي الحديث ، اي ومن جهة معينة، اكتشاف الروح العلمية الاوروبية ، ومن جهة اخرى اكساب الوعي بارث وتقاليد لا تكون صالحة ما لم تات ضمن اشكال جديدة تتلاءم مع تمثيل دقيق لصفات الواقع العربي حتى وان حافظت على بعض طوابعها « المسكونية » ـ الاسلامية غالب الاحيان ـ .

ان فيلسوفا عربيا مثل العروى (صاحب « الايديولوجيات العربية الحديثة » الصادر في باريس عام ١٩٦٧) يرى في معرض كلامه عن الادب (لكن يمكننا تطبيق القاعدة على مجالات اخرى في التعبير)، ان التقدم ، الذي طرحته النزعة الحديثة ودعمته ، يمر في ثلاث مراحل رئيسية :

مرحلة كلاسيكية ـ جديدة تملىء فيها وسائل التعبير التقليدية بمحتويات حديثة .

مرحلة عاطفية ـ رومانتيكية دخلت فيها انواع كانت تعتبر حتى ذلك الوقت غير متلائمة مع « العقلية » العربية ، مثل الرواية والمسرحية ، فضلا عما مثلته من محاولات متعثرة سعت لنقل المقتضيات القومية الجديدة ضمن سياق اوروبي ،

ثم مرحلة واقعية ، في النهاية ، طرحت امام المهتمين كشفا لواقعهم الخاص ، واقع لا يثير الحماس بصورة دائمة .

اما اذا اردنا تحويل هذه المراحل وتفسيرها بلغة سياسية ، فسنتمكن من الكلام عن تمركز تدريجي للطبقة البرجوازية الصغيرة ـ العربية ، وريثة تقليد كلاسيكي ناصع ، غير معتادة على قراءة دروسه التاريخية ، اي انها فخورة بماض لا ينتسب اليها ، وان كانت تجعل منه دعامة لطامحها في ان تقدم وتهيىء نفسها لقيادة العالم العربي ، ولهذا فهي تتقبل التسويات الضرورية الواضحة التي لا يمكن الا ان يتطلبها الاستعمار الاوروبي .

ويوحي هذا الامر بحدود يقظة ثقافية بعثت من الخارج ، لا تهم الا اقلية لا تملك علاقات عضوية ومتواصلة مع الكتل الشعبية، غير قادرة على التحرر من الموديلات الغربية ، على استعداد لان تقبل، غالب الاحيان ، التعبير بلغة اجنبية ، سواء لميولها ـ التي لا تخلو من الافتنان ـ في « الانتقائية » او ، وهذا ما يحدث غالبا، لعدم مقدرتها تحريك ثورة جمالية وثقافية من الداخل ، وايجاد وسيلة تعبيرية جديدة . لكنه ، من ناحية اخرى ، لا يمكن للنقد ان يذهب بعيدا عن الظروف التاريخية والاجتماعية التي تنبع عنها هذه التجارب الثقافية ، وهي ظروف تحول دون اية نتيجة اخرى في حال عدم وجود تغيير عميق في العلاقة بين الانتيليجنسيا المحلية وبين الطبقات الاقل غنى وفي حال عدم وجود وعي لتوازن سياسي متعاقب، بامكانه تقديم تلك القيم التي لا يمكن ان تدرك الا ما ندر، حتى في فترة الحداثة العربية المنورة . وهذا لا يعني اننا نريد استبعاد الجانب الايجابي الذي يقدمه على الدوام ، على صعيد معين وعلى مستوى معين ، الصدام بين حضارات مختلفة وانتشار المناخ المرتبط بالليبرالية الثقافية .

على اية حال ، اذا كانت ثقافة فلسطين ، من حيث انها منطقة في العالم الشامي ، تطورت في القرن الماضي على الشكل الذي قدمناه ـ رغم بعض التاخر في البدء ـ فان الظروف التاريخية دفعت فيما بعد، المفكرين الفلسطينيين نحو وعي سريع وضح من السحنة الايديولوجية الحقيقية لمن كان يعرض ويمثل تلك الثقافة ، كما ان تلك الظروف فسحت المجال ، في نهاية الحرب العالمية الاولى ، امام عملية التحقق من ذلك التحول في العلاقات والتوازن ، وهو التحول الوحيد القادر على تقديم محتويات جديدة وحديثة وقومية وشعبية وتقدمية .

ونحن نرى من وجهة نظر معينة ان الطابع الاعظم والاساسي للثقافة الفلسطينية هو من طوابع سياق الثقافة الاسلامية الكبرى ، لكن شاعرا مثل محمود درويش لم يقدم شعره على انه استمرار لادب المهجر في عهد الحملات الصليبية ، رغم انهما يشتركان بمواضيع عدة مثل العودة والارض ، او مغالطة المفالاة الدينية . ونجد في نفس الطريقة ، ان الواقعية الطليقة التي تصادف في قصصية ما بعد الحرب الثانية ، لا تتقاسم ، ان لم يكن في اشكالها البسيطة والعاطفية ، اي صفة من الصفات مع الموجزات الثيولوجية حول « فضائل القدس » التي نجدها بصورة مستمرة في تاريخ الادب خلال العهود المتوسطة الاسلامية .

ان تقديم اطار عام للثقافة الفلسطينية المعاصرة ، يعرضنا ، وان كان مجرد اطار تقريبي ، لخطر التباين الناجم عن الوضع المضطرب الذي يعيش فيه الشعب الفلسطيني وعن الشروط القاسية التي يبرز خلالها الكيان الفلسطيني . ومن الواضح انه لا معنى للكلام عن الفنون التشكيلية ، عند الكلام عن الفن ، رغم ان اطارا لمحاولات المقاومة التصويرية قدمه لي احد الرفاق الفلسطينيين . ومن الارجح كذلك انه علينا الانتظار بضع سنين قبل ان نرى ترجمات سينمائية لبعض الرسائل التي وجدت لها في المجالات النظرية والسياسية والدراسات الاجتماعية والادبية تعبيرا طلائعيا .

ولهذا يبدو لنا مناسبا ان ينطلق الحديث الثقافي من التعبير الادبي وبصورة خاصة ، من الشعر . والمنفعة لا بد وان تكون مزدوجة: فهناك تغيير في الاعراف الجمالية التقليدية (خاصة العروضية)يعقبه تحويل لغوي نحو المعنى الشعبي ـ العامي بعض الاحيان ـ ولم يكن هذا لان الشعر تحمل عبء تبليغ بعض المحتويات (وهي قضية معروفة لدى شعوب الثقافة الاسلامية ، حتى وان كانت المحتويات في هذا المثال شعارات تعبر وتبلغ شحنة ثورية لتكون السبب العقائدي للصراع) ، بل لان الشكل تشكل وتوافق بصورة عضوية مع البلاغ

المعروض .

ولم يكن محض صدفة ان الادب ، وبخاصة الشعر ،الفلسطيني اصبح محط دراسة النقد العربي التقدمي ،بل حتى الاكاديمي منه، ذلك رغم صعوبات تجميع وتنظيم مواد ذلك الادب المتدفقة باستمرار . ان شعر المقاومة الفلسطينية يقدم ، بتبسيط لا يمكن دوما القبول به ، بانوراما للمواضيع التي تشكلها ، في اماكن اخرى ، المقاومة نفسها رغم اختلاف الثواني الايديولوجية ، ذلك لتشابه تتابع المواضيع التي تنظمها تلك الايديولوجية حول صراعها ، وتعبر بها عن التزامها وتصوغ اهدافها للمستقبل .

ان الشعراء الفلسطينيين ، كالعباقرة القدامى ، (هذا لنستشهد بسيمون جارجي ، راجع على وجه الخصوص Orent وخاصة الاعداد XVII ، XXI) ينطلقون من وصف روعة ارضهم ، وقد اصبحت بعض الاحيان ، اطار قصصهم الفردية ، ليصلوا (خاصة في الانتاج الذي عقب الـ ٦٧) الى المحتويات السياسية والتوافق التام بين التجربة الفردية والصراع السياسي والعسكري .

ويبدو ان واحدا من اقوى نقاد الشعر الفلسطيني العرب . ا . ياغي (راجع بصورة خاصة

Life of moderne palestinien literature ontil the crisis

بيروت ١٩٦٨) يميزبين مرحلة التحوبل والوعي التي امتدت حتى عام ١٩٤٠ وبين الفترة التي عقبت ذلك التاريخ . لكنني ارى شخصيا ان التفريق يجب ان يجري حول التزام المفكرين في النضال في الاربعينيات والذي بدا بصورة عملية وفي اعم شكل ممكن منذ الـ ٦٥ وما بعده، الى ان ظهر بحدته الجديدة الواضحة بعد حرب الستة ايام ، ضمن الفهم الجديد للوسيلة الشعرية على انها وسيلة دعائية ، هذا مما يؤكد على السمة الهائلة للفئات الشعبية التي يتجه اليها .

وانا لا نريد ، اذ نقدم هنا بعض النصوص ، الا تقديم امثلة دون اي طموح نوعي لتقييم الشعر الفلسطيني وشاعريته وعقائديته عبرها ، مبتدئين ، على هذا الشكل ، اول معالجة ومجابهة لثقافة تنمو في الشرق القريب ، على انها الصلة الاكثر ثورية بتركيب الافكار الذي ، وان قبل ببعض الدروس الغربية ، فهو ينظر عبر صيغته الاصيلة الى الشرق ، مفهوما على انه الكتل الشعبية التي يعرض عليها مواضيع تاملاته ، وعلى انه واقع « العالم الثالث »الخصوصي.

ولنبدأ بقصيدة لفدوى طوقان ، نشرت عام ١٩٥٧ . والشاعرة الفلسطينية هي مثل جميع الشعراء الذين سنقدمهم رائدة الشعر ، النسائي في المجال الفلسطيني ـ الاردني . وقد شرعت باغاني حب عاطفية لتصل الى مواضيع المقاومة الوطنية . اما القصيدة التي نقدمها فهي مرحلة وسط ، اذ ان المخاطب هو رمز الوطن رغم انه محضر في صورة عاطفية . ويتبعها قصيدتان لـ حنا ابو حنا وممر زعبي،اللذين يمثلان « الجناح المسيحي » في هذا الانتاج الشعري . مسيحيونهم، كما ان انتاجهم مستوحى من روح الاخوة المسيحية ، وهذا لا يعني انه اقل التزاما من انتاج فدوى طوقان في استخدام الرمز ووعي العدو .

اما القصيدة الرابعةفهي انشودة مجهولة المؤلف تستخدمها « العاصفة »، وهي واحدة ، من اناشيد كثيرة تلحن وتبرز وتستخدم تعريجيا كلمات سر وشعارات للمقاومة .

اما القصائد التي تتلوها فهي اكثر اهمية . فقصيدة محمود درويش تتميز بايحاءاتها الحكمية ، وهي التي تفترض لقاءا ذا مغزى مع جندي عدو وتقوم على خلفية الاشكال الشخصي لهذا الاخير وتمثيل وعي الشاعر الثوري . وصورت الشاعر هو من الاصوات الاكثر ترددا بين الادباء الفلسطينيين .

اما مقطوعة توفيق زياد فتشكل جزءا من قصيدة طويلة عن الناصرة ، وقد استفادت ، حسب ما اورد الشاعر ، من اغنية شعبية قديمة ، وهناك مواضيع حية حملت من عهد الحرب العالمية الاولى بعد ان اعطيت طابعا شعريا حديثا يؤكده سلك الالم الذي يبدو انه يميز تاريخ البلاد .

تتبع القصائد (هي ، هو ـ فدوى طوقان ، ١٩٥٧ . قصة قرية ـ حنا ابو حنا ، ١٩٦٠ . اغنيةالعاصفة ـ حلم الزنابق البيضا ـ محمود درويش ١٩٦٩ ـ حسناوات الناصرة ، توفيق زياد ١٩٦٩ .

ترجمة نبيل رضا المهايني

★

الاتحاد السوفياتي

رسالة من جليل كمال الدين

حولية التبادل الثقافي السوفياتي العربي

ـ ١ ـ

تتسع العلاقات المتبادلة بين الاتحاد السوفياتي والدول والشعوب العربية وتتعاظم باطراد في مختلف الحقول : السياسية ، والعسكرية والاقتصادية والثقافية والعلمية والتكنيكية والفنية بل وحتى الدينية. فمنذ وقت قصير عقد المؤتمر الاسلامي السوفياتي الذي حضره مندوبون من البلدان العربية كان من بينهم شخصيات اسلامية بارزة مثل الدكتور محمد بيصار الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية ج ع م والشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية ، والشيخ طه الصابونجي قاضي الشريعة الاسلامية ، والشيخ عبدالجبار الاعظمي رئيس هيئة دار الثقافة الاسلامية ببغداد ، وعبدالوهاب محمد السماوي نائب وزير العدل في اليمن والشيخ مختار رحمةالله مفتي السودان . وفي طاشقند عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفياتية تطاولت اعمال مؤتمر المسلمين السوفيات بين سادس وتاسع أوكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٠ . وقد عقد المؤتمر تحت شعار ، في سبيل الوحدة والتضامن في النضال من اجل السلام » . وحضره ضيوف من خارج الاتحاد السوفياتي ، مثلوا (٢٤) بلدا . وكان من اهم ما القي في المؤتمر دراسات رصينة لعلماء سوفيات هم في ذات الوقت رجال دين بارزون في اوساط المسلمين السوفيات ، وهي دراسة رئيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان ، ضياء الدين باباخان، وكانت تحت عنوان « الوحدة والتعاون في النضال من اجل السلام » ، و « الوحدة والتضامن بين المسلمين في النضال من اجل السلام وضد الامبريالية ، ومن اجل ضمان التقدم الاجتماعي على ضوء تعاليم القرآن الكريم والقوانين الاجتماعية» للشيخ حجة ابراهيموف ، و«النضال ضد العدوان الامبريالي في الشرق العربي وجنوبي شرقي آسيا » للمفتي قربانوف ، و« العناصر الاجتماعية في الاسلام وعصرنا » لامام مسجد موسكو مصطافين ، وغيرها .

وقد بعث المؤتمر ببرقية تعزية الى ج ع م بمناسبة وفاة الزعيم جمال عبدالناصر . كما اصدر بيانا خاصا عن فلسطين والشرق الاوسط . وجاء في الوثيقة الرئيسية للمؤتمر « اننا نحن المساهمين في مؤتمر الوحدة والتضامن بين المسلمين في النضال من اجل السلام وضد العدوان الامبريالي نعتقد بانه في الظروف التي يقوم فيها المعتدون الاسرائيليون باعمالهم القائدة الى تسعير الخطر الجدي على السلام والامن الدوليين ، لا يستطيع اي مسلم حيثما كان ان يقف موقف اللامبالاة ولا بد ان ترغم الاعمال الحاسمة لكل من تعز عليه مثل السلام والحرية والاستقلال المعتدين على الكف عن مواصلة الاتجاه المغامر ، واقامة سلام عادل وطيد في هذه المنطقة من الكرة الارضية » .

وقد اكد الدكتور بيصار ان مسلمي الاتحاد السوفياتي قد قاموا بدور هام في توطيد الصداقة بين الشعوب العربية والسوفياتية، وانهم بذلوا ويبذلون الجهود الكبيرة من اجل احياء التراث الاسلامي في آسيا الوسطى وهم يحافظون على تقاليدهم ويعتزون بمقدساتهم وتعاليم دينهم . كما اكد الشيخ الصابونجي انه لا سلام مع التمييز العنصري والحقد الديني والقومي الذي تؤمن به الصهيونية ...وان موقف الاتحاد السوفياتي من القضايا العربية هو موقف معترف به

من قبل العرب جميعا سواء كان ذلك في مجال التسليح ام من حيث الدعم السياسي في كافة الحقول .

ولا بد للمسلمين من البلدان العربية وسواها من لقاء جديد مع المسلمين السوفيات بمناسبة الاحتفالات الوشيكة لمرور ٢٥٠٠ عام على مدينة سمرقند ، الحاضرة الثانية في اوزبكستان السوفياتية.

* * *

وقد تركت وفاة عبدالناصر اثرها في الصحافة السوفياتية المركزية وغير المركزية . فقد صدرت كافة الصحف السوفياتية تضم صورة لجمال عبد الناصر في اطار مجلل بالسواد ، وكلمات تتحدث عن حياة وانجازات الفقيد العظيم . وكرست صحيفة « ليتراتورنايا غازيتا » والجريدة الادبية) ، وصحيفة « ليتراتورنايا روسيا » (روسيا الادبية) الاسبوعيتان صفحات كاملة للراحل عبدالناصر .

كما ان تفاقم الوضع الملتهب في الشرق الاوسط جراء استفزازات العدو الامبريالي الصهيوني قد دفع بوزارة الخارجية السوفياتية الى اصدار بيان خاص نشرته كافة الصحف السوفياتية . ، وقد تحدث البيان عن اهداف الحملة الاستعمارية الصهيونية وسيل الافتراءات المقصود منه تحويل الانظار عن ازدياد التسلح الاسرائيلي والتحضير لمؤامرات جديدة . واكد البيان وجهة النظر السوفيانية القائلة بان الاتحاد السوفياتي كان ولا يزال نصيرا ثابتا للتسوية السياسية في الشرق الاوسط على اساس تحقيق قرار مجلس الامن وتنفيذ كافة بنوده . كما ان ذلك قد جرى التاكيد عليه ايضا في البيان المشترك الذي صدر بعد زيارة رئيس فرنسا بومبيدو للاتحاد السوفياتي .

— ٢ —

ومن مظاهر اتساع الاهتمام بالثقافة العربية في الاتحاد السوفياتي الترجمات التي تظهر بين آونة واخرى في الصحافة السوفياتية او في الكتب المستقلة التي تصدر عن دور النشر المختلفة . فمثلا نشرت مجلة « شعوب آسيا وافريقيا » الشهرية في احد اعدادها الاخيرة اشعارا مترجمة لشعراء عرب مشهورين ، هم على وجه التحديد معين بسيسو (من فلسطين) ، وسعيد عقل (لبنان) وعبدالوهاب البياتي (العراق) . ومترجم الاشعار معروف بترجماته الغديدة للشعر العربي الحديث ، وهو ميخائيل كورفانشف . والقصائد المترجمة هي (اسكندر المقدوني) لبسيسو و(المغني) لسعيد عقل ، و(امراة بلا اسم) للبياتي .

كما صدرت في كتب مستقلة ترجمات اخرى لهذا المترجم نفسه (كورغانتسيف) ، ونشير ، بخاصة ، الى كتاب « الغضب والامل »، الذي صدر عن مكتبة « آغانيوك » (الشعلة — وهي مجلة اسبوعية واسعة الانتشار) ، تحت رقم ٣٠ ، وبعدد نسخ (١٠٠ الف) .

وكانت لوحة الغلاف للفنان العراقي البارز محمود صبري . وقد صدر الكتاب عن دار نشر «البرافدا» . وضم قصائد مترجمة لشعراء من اربعة عشر قطرا عربيا هم (جان سيناك ، وبشير حاج علي ، وبو عالم خلفه ، وكاتب ياسين) من الجزائر ، و(عصام حماد) من الاردن ، و (معروف الرصافي ، ومحمد مهدي الجواهري ،ومحمد صالح بحر العلوم ، وعبدالوهاب البياتي) من العراق ، و (محمد الزبيري) من اليمن ، و (شحادة عبود ، وسعيد عقل) من لبنان ،و(البروسي) من ليبيا ، (ومحمد عزيز الحبابي) من المغرب ، و(عبدالرحمن الخميسي، وناهض ابو زهره ، ومجاهد عبدالمنعم مجاهد ، ونجيب سرور ،وصلاح جاهين) من ج ع م ، و (معين بسيسو) من فلسطين ، و (احمد عبدالغفور عطار) من العربية السعودية ، و(احمد سليمان الاحمد ، وشوقي بغدادي ، ومحمد سمير مراد) من سوريا ، و (محي الدين فارس ، ومحمد الفيتوري) من السودان ، وعمر السندي (من تونس) ومحمد عفلاقي من (اليمن الجنوبية) .

وكتب مقدمة الكتاب الاكاديمي المشهور ب . غفوروف ، رئيس معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفياتية . وجاء في كلمته ما يلي : « يعيش الشعر العربي خمسة عشر قرنا . وقد ابدع الكثير من الاثار الرائعة ، في هذه القرون ، باللغة العربية . غير ان وارثي هذه الثروة ، معاصرينا — عرب القرن العشرين يرون في شعرهم ليس فقط شاهدا على الثقافة الروحية الرفيعة . انهم ينشدون فيه انعكاس طموحات وافكار وآمال اليوم الحاضر .

« ان هذه المساعي قد اولدت الشعر العربي المعاصر ، العبق بروح المواطنة ، والتعطش للحرية ، وحميا الوطنية . والى جانب كل الفروقات في الشخصيات ، فثمة شيء عام مشترك لدى شعراء الاقطار العربية المختلفة ، الممتدة من الخليج الفارسي الى المحيط الاطلنطي . ان النضال في سبيل التحرر الوطني وضد القوى الرجعية المظلمة ، وضد الحرب ، ومن اجل الوحدة ومستقبل الشعب المشرق — ذلكم هو ما يلهب ويفعم بالقوة افضل سطور الشعراء العرب في قرننا هذا .

« ونقدم هنا نماذج من الشعر المعاصر لاربعة عشر قطرا عربيا. وبين مؤلفي المجموعة — اكبر اساتذة الشعر : امثال مؤسس الشعر العراقي الجديد معروف الرصافي ، والشاعر البارز والمناضل من اجل السلام محمد مهدي الجواهري ، وافضل شاعر غنائي في لبنان: سعيد عقل ، والاديب المصري البارز عبدالرحمن الخميسي ، والشاعر المغربي المشهور الشاعر الفيلسوف محمد عزيز الحبابي ، واروع شاعر سوداني : محمد الفيتوري ، وكثيرون آخرون — من المحاربين القدماء في رحاب الشعر الى افتى الشعراء سنا . والى جانب الاثار التي حظيت بالقبول في العالم العربي ، فان القارىء يجد هنا اشعارا من اليمن ، وليبيا والعربية السعودية، واليمن الجنوبية ، حيث يخطو الشعر الحديث خطواته الاولى ».

واختتم الاكاديمي غفوروف مقدمته قائلا : ان اشعار هذا الكتاب قد ابدعها ، بحب وحدب ، باللغة الروسية ، شاعر منح ، موفقا ، قواه الابداعية للقضية النبيلة لترجمة شعر الشرق » .

ومع ان الكتاب يفي بالمهام المطلوبة من كتاب يصدر بطبعة شعبية ، باللغة الروسية ، عن الشعر العربي الحديث ، الا انه يعاني من نقائص جمة . فقد اقحم شعراء لا يمكن وصفهم بالشعراء الحديثين ، وهم في افضل الاحوال شعراء نيوكلاسيكيون . كما اغفل شعراء حديثون مرموقون ، لا يمكن تخطيهم في اي ديوان او مجموعة للشعر العربي الحديث ، سواء صدرت بلغة الضاد ، او ترجمت الى لغات العالم الحية ، ومن هؤلاء الشعراء المرحوم بدر السياب ، وادونيس وسعدي يوسف ، ونزار قباني ، وخليل حاوي، ونازك الملائكة ، وصلاح عبد الصبور ، ورضوان الشهال ، ووصفي البني ، وبلند الحيدري ، ومحمود درويش ، وسميح القاسم ، وتوفيق زياد ، وملك عبد العزيز ، ومحمد عفيفي مطر ، وحسب الشيخ جعفر ، ومحمد سعيد الصكار ، وعلي كنعان ، والبصري ، وابو سنه ، ورشيد ياسين ، ورشدي العامل ، ومجاهد عبد المنعم مجاهد ، وصلاح نيازي ، والخوري وغيرهم . ان هذه القائمة الرائعة لهذه الاسماء المجيدة في العالم الشعري العربي المعاصر ، لا يمكن ان تقفل بحال ، وهي جديرة جدا بالترجمة الى لغة الاصدقاء. ففي شعر هذا الرعيل يتمثل غضب العرب وآملهم بصورة لا تقل توفيقا واصالة وتفردا ونضجا وروعة عما يعكسه شعراء المجموعة المقدمة الى القارىء الروسي . والامل ان المترجم ، او الجهة التي اشرفت ، وارتات اصلا اصدار مثل هذا الكتاب ، ستتلافى مثل هذه النقائص في طبعات قادمة ، او تصدر كتبا جديدة على الاقل تترجم هؤلاء الشعراء ، كي يتكامل ديوان الشعر العربي الحديث ، وكي تتاح للقارىء الذي يعرف اللغة الروسية في رحاب الاتحاد السوفييتي الواسعة (حيث اللغة الروسية معروفة جدا) وفي المعسكر الاشتراكي (حيث يعرف الكثيرون اللغة الروسية) ، صورة

صادقة ، وافية للشعر العربي الحديث ، في الظروف المعاصرة .

*

وثمة كتاب شعري مستقل اخر من الشعر العربي الحديث ، قد نرجم الى اللغة الروسية ، نعني به الكتاب الموعود المنتظر منذ امد طويل للشاعر الفلسطيني معين بسيسو ، وقد صدر في مكتبة «اغونيوك» التي اصدرت الكتاب الذي نحدثنا عنه آنفا ، وكان هو كتابها الرابع لعام ١٩٧٠ . ان عنوان مجموعة بسيسو الشعرية هذه كما ظهرت باللغة الروسية هو «الوطن في القلب» ـ وهو ترجمة لمعظم قصائد ديوان الشاعر الذي صدر بعنوان «فلسطين في القلب» عن دار الآداب . وجاء في المقدمة : «ولد الشاعر الفلسطيني المعاصر معين بسيسو عام ١٩٢٨ . وقد اعيد طبع كتاب اشعاره الاول «رسائل» (١٩٥٢) ست مرات . وقد اتت لمعين بسيسو بشعبية واسعة في العالم الشعري العربي مجموعاته «الاردن على الصليب» و«فلسطين في القلب» و«الاشجار تموت واقفة» .

ان معين بسيسو شاعر الموضوعة الوطنية الكبيرة ، المناضل في سبيل الحقوق العادلة لشعبه ، هو مناضل نشيط في الحركة العالمية لكتاب افطار اسيا وافريقيا . وفي عام ١٩٦٨ زار هو الاتحاد السوفييتي ، وكان مندوبا الى ندوة طاشقند الادبية للقارات الخمس .

وقد نشرت اشعار معين بسيسو في الاتحاد السوفييتي في المجموعة الشعرية المعنونة «انا نعيش في كوكب واحد» وفي مجلة «آسيا وافريقيا اليوم» . ان «الوطن في القلب» ـ هو الكتاب الاول للشاعر ، الذي ينشر في نرجمة مستقلة باللغة الروسية» .

والمترجم هو ذات المترجم الذي نرجم مجموعة «الغضب والامل»، نعني به الشاعر ميخائيل كورغانتسيف . ويضم الكتاب (الذي تم توزيعه بمائة الف نسخة ايضا) قصائد لبسيسو جديدة ، نظمها في الاتحاد السوفييتي ، وخصوصا في لننفراد ، ومن هذه القصائد «تانيا» («الهداة لتانيا سافيجيفا وجميع الاطفال اللننفراديين الذين عرفوا ما هو الحصار») و«اغنية لاوركسترا المنوعات ...» وغيرها .

وكم كان مفيدا للقارىء باللغة الروسية لو دفع الكتاب بمقدمة تحكي حكاية فلسطين ، وطن الشاعر ، وحكاية الشعر الفلسطيني المعاصر وشعرائه الاخرين : درويش والقاسم وزياد وجبران وغيرهم . لكن المجموعة مقتضبة (رغم ان القصائد وافرة ، فعددها ٢٨ قصيدة)، والطبقة شعبية ، وعدد الصفحات لا يتجاوز ٣٢ صفحة . وربما يكون من غير المنطقي ان نطلب من طبعة شعبية ، بمثل هذا الحجم ، ما نطلبه من طبعة اخرى تقدم الشعر الفلسطيني وشعراءه ، على نحو مستقل ، وبحجم واسع ، الى القارىء باللغة الروسية ، الذي بدأ يهتم اوسع الاهتمام بكل ما له صلة بفلسطين والعالم العربي ، خصوصا بعد حرب حزيران ونضالات الفدائيين .

لعل دار نشر اليرافدا التي اصدرت هذا الكتاب الصغير لشاعر فلسطيني مشهور هو بسيسو ، ستوسع في تعريفها القارىء باللغة الروسية بكنوز الشعر الفلسطيني الحديث ، فتقدم ترجمات بكتب مستقلة اخرى لشعراء مشهورين اخرين مثل درويش والقاسم وزياد وجبران ، خصوصا وان درويش والقاسم لهما من الرصيد الشعري ذخيرة كافية لاجابة متطلبات اي اختيار ومختارات ، كما ان درويش قد حاز جائزة «اللوتس» لكتاب آسيا وافريقيا ، ونشرت مجلة «آغونيوك» في عددها السابع والثلاثين صورته وتعريفاته بين صور الحائزين الاخرين على الجائزة وهم توخواي (فيتنام) ، وآغوستينو نيتو (انغولا) ، والكسي لاغوما (جنوب افريقيا) ، وخاريفانشاري بانشان (الهند) ، وزولفيه التساعرة السوفييتية من اوزبكستان ، كبرى جمهوريات آسيا الوسطى السوفييتية .

والحق ان هيئه تحرير «الادب الشرقي» في معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفييتية بموسكو ، مدعوة هي الاخرى ، للاهتمام بالادب العربي الحديث ، وترجمة مختارات منه للقارىء باللغة الروسية ، والى لغات شعوب الاتحاد السوفييتي ، كما ينبغي عليها ان تقدم مختارات للشعر الفلسطيني المعاصر ، اجابة لتساؤلات القراء السوفييت عن الادب الفلسطيني ، وتطمينا لمتطلبات التعريف بالادب النضالي العربي والافرو اسيوي التحرري التقدمي .

ـ ٣ ـ

وصدر حديثا عن دار نشر «الكتاب» ، وفي سلسلة «ادباء الاقطار الاجنبية » ، التي تصدرها مكتبة الدولة للادب الاجنبي في موسكو، دليل مرجعي عن الادب الرائد ، توفيق الحكيم ، احد عمالقة النثر العربي المعاصرين . ويعتبر الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف ادريس ونعيمه وطه حسين والزهاوي والرصافي والبياتي من بين اكثر الادباء العرب شعبية بين القراء السوفييت ، وهم معروفون تماما لدى جمهرة الاختصاصيين الواسعة بالادب العربي واللغات السامية عموما. فقد ترجم لهم وكتب عنهم وفيهم العديد من الكتب والدراسات والمقالات والاطروحات والاعمال الادبية والعلمية المختلفة .

ويقع الكتاب في ٧٢ صفحة ويضم كلمة لمصنف الكتاب، ثم مقدمة ضافية بقلم احد الدارسين السوفييت المشهورين لتوفيق الحكيم وهو ك. يونوسوف ، ثم بيانا بالتواريخ الرئيسية الهامة في حياة وابداع توفيق الحكيم . ويقع هذا القسم الافتتاحي في ٢٤ صفحة . اما بقية الصفحات فمرصودة لدليل المراجع عن توفيق الحكيم ، ودليل كتب توفيق الحكيم وطبعاتها المختلفة وترجماتها الى اللغات الاجنبية ، مما تيسر للمصنف الالمام به .

ـ ٤ ـ

واصدرت مجلة «الادب الاجنبي عددا يكاد يكون خاصا بالحائزين على جائزة «اللوتس» (لكتاب فارتي اسيا وافريقيا) ، وهو العدد العاشر (اوكتوبر ـ تشرين الاول ١٩٧٠) . وتصدر العدد شعار المؤتمر الرابع لكتاب آسيا وافريقيا . ونسارع فنقول بان مجلة آسيا وافريقيا اليوم » التي تصدر عن معهد الاستشراق بموسكو قد كرست بابا خاصا للحائزين على جائزة اللوتس ، وأفاضت في الحديث عن محمود درويش .

اما مجلة «الادب الاجنبي» التي اشرنا اليها فقد نشرت اشعارا لمحمود درويش الذي وصفته بانه «شاعر عربي من اسرائيل» وقصة ليوسف السباعي بعنوان «جزيرة الخلاص» وقصة لسهيل ادريس بعنوان «العراء» وقد نرجمها الكسندر ايفانتكو واي . تيموفييفا . اما قصة السباعي فقد ترجمها ت. بالترمانتس ، واما اشعار درويش فقد ترجمها الشاعر الجورجي غيورغي آشكيناذزه .

وفي هذا العدد بالذات من المجلة كرست عشر صفحات للحديث عن الشاعر العربي المشهور ابي العلاء المعري ، ولترجمة ٩٥ بيتا من الشعر له ، الى اللغة الروسية ، لاول مرة . وقد كتب المقدمة وترجم الشعر ارسين تاركوفسكي . والترجمة جيدة وأمينة .

وفي ذات العدد (العاشر ـ تشرين الاول (اوكتوبر) لمجلة «الادب الاجنبي») نقرأ في باب (بين الكتب) تقاريظ لادباء سوفييت مرموقين كتبوها بحق مجموعات شعرية مترجمة الى اللغة الروسية ، وهي مجموعة «الوطن في القلب» لمعين بسيسو (التي تحدثنا عنها) ، وقد كتب التقييم الشاعر السوفييتي المشهور ، والمعروف في البلدان العربية نيسين توليف (الذي سبق ان زار لبنان وسواه في احتفالات اوكتوبر وغيرها) . اما المجموعه الثانية فقد نشرت تحت عنوان «شعراء جوع الشباب» ، (والترجمة لـ غ. ليبيديف (دار نشر الجرس الفتي») في ١٢٢ صفحة) . وكاتب التقييم هنا هو اي . بونشكاريفا . واما المجموعة الثالثة التي تتحدث عنها س. بروجوغينا، فقد صدرت باللغة الفرنسية في باريس ، وهي تتحدث عن «غضب وأمل» شعراء المغرب العربي (تونس والجزائر ومراكش) .

يتحدث قيسين قوليف في كلمته تحت عنوان «مع الوطن في

القلب» عن شخصية الشاعر العربي الفلسطيني معين بسيسو ، وعن شاعريته ، وعن ابداع المترجم الى اللغة الروسية ـ الشاعر م. كورغانتسيف . ويصف صدور الكتاب بانه مدعاة سرور الكثيرين من محبي الشعر العربي : «وآنذاك كان يستحوذ علينا حلم وحيد ـ وهو ان تطالع عيوننا كتاب معين بسيسو مترجما الى اللغة الروسية . وها هو الكتاب اليوم ، ولسروري البالغ ، وسرور الكثيرين ، يمثل امامي ـ ها عيناي تتصفحان مجموعة اشعار الشاعر العربي ، الصادرة بمائة الف نسخة» .

وبالنسبة الى توليبف فانه حتى التسمية «الوطن في القلب» تبهجه تمام الابهاج ، فهو يعتبرها خلاصة بالغة الدقة للعناصر الرئيسية في شعر بسيسو . ويثني توليبف بسيسو في مواضع عديدة في كلمته ، واصفا اياه بشاعر الصلابة والصمود ، والشاعر الاصيل الذي لا يقلد سواه ، وصاحب الاشعار العميقة المحتوى ، والدقيقة، والنضرة ، والعميقة الشعرية ، والتصوير ، والبالغة البساطة .

اما اي. بوتشكاريفا فتتحدث في كلمتها عن الشعراء الشباب لـ ج‌ع‌م (المجموعة الصادرة باللغة الروسية في ترجمة غ. ليبديف ، والتي اشرنا اليها آنفا) ، تتحدث عن صلاح جاهين ، ومجاهد عبد المنعم مجاهد ، ونجيب سرور ، ومحمد عادل سليمان ، ومأمون الشناوي ، ومحمد ابو سنه وغيرهم (اقحم هنا اسم الشاعر صالح جودت ، الذي لا اظنه نفسه يوافق على ان يكون من الشعراء الشباب، فهو سنا ليس بالشاب ، واتجاها شعريا «عدو» كما يسميه الكثيرون للشعر الجديد وشعر الشباب) . وكاتبة التقييم على حق حين تقول في خاتمة كلمتها : «ان الكتاب ، الذي تحدث في مائة صفحة من صفحاته عن حوالي العشرين شاعرا ، لا يستطيع الا ان يقدم فكرة عامة عن هؤلاء الشعراء» .

واما المرة الثالثة التي جرى فيها الحديث ، في باب «بين الكتب» في مجلة «الادب الاجنبي» (ذات العدد المشار اليه) ، فهي الكلمة الطويلة التي تحدثت فيها س. بروجوغينا عن اشعار شعراء مغاربة وتونسيين وجزائريين صدرت باللغة الفرنسية في باريس .

*

اما العدد الحادي عشر من مجلة «الادب الاجنبي» فقد تحدث عن بترارك في باب (التراث الادبي) وهو الذي يرصد ، ويقدم للقراء باللغة الروسية ، عيون التراث الادبي العالمي . وقد جرى الحديث في العدد العاشر (الذي اشرنا اليه آنفا) عن ابي العلاء المعري . كما اشار العدد اشارة غنية دالة الى الاعداد الخاصة من المجلات العربية الصادرة بمناسبة اليوبيل المئوي للنبي ، والى مناسبات تكريم وفاة المستعرب الاسباني بالاسيوس صاحب الدراسات المشهورة («دانتي والاسلام» وعن «ابن حزم» و«محي الدين بن عربي» والتأثيرات الفلسفية الاسلامية في «الكوميديا الالهية») .

وبضم العدد الخامس من مجلة «شعوب آسيا وافريقيا» (التي يصدرها كل شهرين معهد الاستشراق التابع لاكاديمية علوم الاتحاد السوفييتي بموسكو) ، مقالة قيمة لـ اي. يا. حميدوف ، العالم الاذربيجاني المعروف ، عن كتابي ابن قتيبة «الشعر والشعراء» و«عيون الاخبار» . وسنحاول ترجمة المقالة وتقديمها لقراء الاداب في مناسبة تالية ، وذلك لاهمية المقالة من جهة ، ومن جهة اخرى لانها تعكس بامانة وجهة النظر الماركسية ـ اللينينية في هذا الاديب العربي الذي ظلمه غير قليل من الدارسين العرب المحدثين . وفي رأي كاتب المقالة ان ابن قتيبه قد قدم اضافة قيمة الى النظرية الشعرية ليس العربية فقط بل والشرقية ايضا ، وقد اتى بجديد كثير ، في زمانه .

*

فاذا انتقلنا الى الجمهوريات المتحدة ، فاننا سنجد كثيرا من الكتب العربية قد ترجمت الى اللغات القومية في هذه الجمهوريات، ومنها مثلا ولا حصرا جمهوريات اسيا الوسطى وكازاخستان وقرغيزيا وتاتاريا وبشكيريا واذربيجان ، كما منها ارمينيا وجورجيا، واوكرانيا. ولنتحدث عن ارمينيا كمثال ليس الا فقد صدرت في ارمينيا عدة كتب تعرف القارىء الارمني بشعراء العرب ومنها كتاب «شعراء آسيا وافريقيا» (الذي جرى فيه الحديث عن شوقي ومطران وحافظ ابراهيم والجواهري والبياتي والرصافي ورضوان الشهال ووصفي قرنفلي وسواهم) . كما صدرت كتب عديدة تترجم القصص العربية ومنها كتاب «قصص مصرية» (للشرقاوي والخميسي والعريان ، ومحمود بدوي وبنت الشاطىء ويوسف ادريس وسواهم) . والامر لا يقتصر على الادب العربي في مصر ، فثمة كتاب «مجموعة قصص عربية» يقدم قصصا (لسعيد حورانيه ، وعادل ابو شنب ، وسميرة عزام ، وعبد الله الطوخي ، وابراهيم عبد الحليم ، وكمال مرسي وغيرهم) .

ولعل كتاب «جبران خليل جبران» المترجم الى اللغة الارمنية (عن الكتاب الاصل ـ الصادر بالعربية في بيروت عام ١٩٦٦) هو ذروة اعمال مستعربي ارمينيا . فالترجمة امينة بشهادة دارس جبران ، المستطير الصيت ، والمعروف جدا في الاتحاد السوفييتي : ميخائيل نعيمة . يقول نعيمة في رسالته للمترجم (وهي المنشورة في كلمة ساراجيان ، التي نقلنا هذه الانباء عنها) : «يجدر بي ان افتخر بترجمتك «للنبي» شعرا منظوما . انه عمل فريد من نوعه في جميع اللغات الحية التي ترجم الكتاب لها . وكم يسعدني انك تمكنت من نقل جميع الافكار والمعاني والمشاعر والاحاسيس واللمسات والدقائق والصور الى ذهن القارىء الارمني» .

*

وما دام الحديث يجري عن الجمهوريات السوفييتية المتحدة ، فلا باس من الاشارة الى حقائق واحداث ثقافية رصدها عام ١٩٧٠، ومنها الترجمات الدائبة في اوزبكستان واذربيجان وقازان (عاصمة تاتاريا) للاشعار والقصص العربية الحديثة ، ومنها نشر مقالات لكتاب عرب في مجلات الجمهوريات المتحدة (مثل المقالة عن «واقعية ايتماتوف») الكاتب القرغيزي السوفييتي المشهور ، الحائز على جائزة لنين وجائزة الدولة ، عضو لجنة التحكيم في جوائز اللوتس ، وللجنة السوفييتية لادباء آسيا وافريقيا ـ لكاتب السطور ، والمقالات عن الرومانسية والرومانسية العربية والرواية العربية في مجلة «نجمة الشرق» في اوزبكستان و«اذربيجان الادبية» و«جورجيا الادبية» و«ارمينيا الادبية») . كما دفع كاتب السطور بمقالات عن الاشتراكية في الادب العربي الحديث ، وعن مفهوم الرومانسية لدى النقاد العرب، واتجاهات النقد العربي الحديث لمجلات مثل (قضايا الادب) و(قضايا الفلسفة) و(موسكو) ـ الصادرة في موسكو .

*

على ان افضل عمل في باب المبادلات الثقافية ، والاهتمام والتجاوب مع النضال العربي التحرري ، والكفاح ضد الاحتلال الاسرائيلي الصهيوني الامبريالي الغاشم هو صدور كتب قيمة جدا ، باللغة الروسية ، عن النضال العربي والمقاومة العربية ضد الاحتلال. واشير ، مثلا ولا حصرا ، الى كتاب «الجيش والسياسة في اقطار آسيا وافريقيا» للبروفسور غ. ميريسكي وكتاب «نخيل تحت شواظ النار» لـ ف. نيكولايف ، الصادر في مكتبة «آغونيوك» الادبية بمائة الف نسخة . هذا وناهيك عن الكتب التي صدرت في الآونة الاخيرة للبروفسور ر. لاندا بعنوان «عن عرب اسيا» و« عن عرب افريقيا» .

ولعل افضل ما كتب عن الجبهة العربية (خصوصا في ج‌ع‌م) هو ما كتبه سرغي باروزدين ، الاديب السوفييتي البارز ، رئيس تحرير مجلة «صداقة الشعوب» الصادر بموسكو . وقد استمرت كتابات باروزدين حلقات عديدة في جريدة البرافدا ، كبرى الجرائد السوفييتية ، وجريدة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي . والحق ان باروزدين ونيكولايف ، يكمل احدهما الاخر ، فيما كتباه عن الجبهة والمؤخرة في ج‌ع‌م ، ونضال الشعب العربي في مصر ،

وكفاح المقاومة العربية الباسلة .

*

وقبل الانتقال الى نشاطات (دار التقدم) في الترجمة الى اللغة العربية ، لا بد من الاشارة السريعة الى نشاطات جريدة انباء موسكو (التي حظيت بزميلة فتية هي مجلة «القوات المسلحة» الصادرة باللغة العربية بموسكو ، عن وزارة الدفاع السوفييتية) .

ان جريدة «انباء موسكو» ـ جريدة اتحاد جمعيات الصداقة السوفييتية ـ العربية ، لا زالت ، في راينا ، دون المستوى المفروض ان تصله جريدة الصداقة السوفييتية ـ العربية . ومع ان الجريدة تستعين بمترجمين ومحررين عرب مرموقين ، الا ان مستوى ما ينشر فيها من مقالات ومواد هو على وجه العموم دون ما هو منتظر ومتوقع . ان الذي يتصفح مجلة سوفييتية مثل مجلة (قضايا الادب) و(قضايا الفلسفة) و(صداقة الشعوب) و(العالم الجديد) و(موسكو) و(نجمة الشرق) ثم يتصفح جريدة «انباء موسكو» الاسبوعية يصاب بالدهشة للمستوى والحال التي هي عليه مواد الجريدة . وقد يتهمنا متهم بالتحامل ، لكننا نقول : حسبنا ان نشير الى جرائد اسبوعية تصدر في موسكو مثل «الجريدة الادبية» و«روسيا الادبية» و«الاسبوع» وسواها ـ فماذا سنجد ؟ سنجد ان جريدة «انباء موسكو» للاسف تتخلف عن كل زميلاتها سواء الاسبوعية او الشهرية .

ان الامر لا يقتصر على نشر قصة او ترجمة شعرية ، او الاشارة الى استقبال هذا الضيف العربي او ذاك ، او توديع هذا الفنان او ذاك ، انما الامر ينبغي ان يدور ، اساسا ، عن الاسلوب : اسلوب نشر المادة ، واسلوب التحرير ذاته . وفي اعتقادي ـ وقد اكون مخطئا ، لكنه خطأ المخلص الذي يطلب الكثير ، والذي يريد التطور ارفع فارفع ـ ان الجريدة متخلفة حتى عن مستوى المهام التي وضعتها امام نفسها في عددها الاول . والانطباع الذي يحصل من قراءتها انها معدّة لشعوب متخلفة ـ وهذا امر غريب غير متوقع . فالمترجمون والمحررون جادون رصينون ولا يبخلون بالعطاء ـ ولعل الذنب ذنب من يقدم المادة ويعد الجريدة ـ بهذا الشكل ـ للنشر . وكل الامل ان الجهود المبذولة باخلاص ، ومتطلبات الصداقة العربية ـ السوفييتية ذاتها التي ترتفع الى مستوى التحالف في المعركة الواحدة المشتركة ضد الامبريالية والصهيونية ، وحاجات القراء العرب الثقافية والفكرية ـ ان كل هذا ، اذا شفع بالرغبة المخلصة من جانب الادارة في تقديم مجلة اسبوعية «وليست جريدة» حافلة بكل ما هو غني وعميق في الفكرة والاداء والعطاء ، سيمكن من بلوغ المستوى المطلوب في لسان حال ـ واشدد على هذا الوصف ـ جمعيات الصداقة السوفييتية ـ العربية .

فبالامكان تخصيص باب للاستعراب السوفييتي ، كما بالامكان التحدث عن الاسطاطيق ونظرية الادب ونظرية الفن السوفييتية وانجازات الفلاسفة ونظريتي الادب والفن السوفييت ، ناهيك عن تقديم روايات وقصص طويلة (بحلقات) او في ملحقات كاملة منتظمة الصدور . وينبغي كذلك التوسع في الحديث عن الجمهوريات المتحدة ، وفي اللقاءات مع كتاب سوفييت باتوا معروفين لدى القراء العرب ، وهم معروفون منذ امد في العالم اجمع ، مثل شولوخوف ، وآيتماتوف ، وكيشوكوف ، ويفتوشنكو ، وفوزنيسنسكي ورسول همزاتوف واحمد خان ابو بكر وغيرهم . ومن اللازم ايضا التوسع في ابواب الفن والثقافة والنشاطات الثقافية ـ ولا اجد خيرا من الفن والادب والنشاطات الثقافية في اداء وابلاغ رسالة الصداقة والتعارف والتعاون بين الشعوب . ان فلما مثل «الجريمة والعقاب» و«جايكوفسكي» وحفلات فرقة موسييف ، وفرق «داغستان» و«جوفاش والجركس» وسواهم ، ونشاطات السيرك السوفييتي ... ان كل هذا ينبغي ان يطلع عليه القارىء العربي اولا باول ، اذا اريد حقا ابلاغ واداء رسالة الصداقة ، في حقل الفن والثقافة ، على خير ما يكون .

ولدي اعتقاد بان «انباء موسكو» ستخرج من هذه القوقعة التي فرضتها على نفسها ـ وكما لو انها جريدة حائطية ـ ، فتطلع الى العالم الفسيح ـ عالم الصداقة مع وطن عربي يمتد في قارتين ، ويفوق سكانه المائة مليون نسمة ـ بما تستحقه رسالة الصداقة ، والتعريف ، والتعاون ، والثقافة على كل صعيد ، وفي كل مجال .

ـ ٥ ـ

تغني دار التقدم في موسكو المكتبة العربية بفطوف وافية من الثقافة السوفييتية المعاصرة ، وكذلك من روائع كلاسيكية الادب الروسي وسواه ما قبل اوكتوبر . وتمتلىء رفوف المكتبات العربية من عام لاخر بالعديد من الكتب التي تقدمها الدار الى قرائها العرب ، مترجمة باقلام مترجمين عرب ضليعين في الترجمة ، عارفين اللغة الروسية معرفة المترجم المعتمد الامين ، يعاونهم محررون نشيطون في اختصاصهم ، مستعربون أمناء لمدرسة الاستعراب السوفييتية.

واذا تتبعنا نشاطات هذه الدار لعدة اعوام ، فسنجدها قد قدمت بتفان ، في حقول عديدة من المعرفة والثقافة ، بما تستطيع وبما تيسر لها ، ترجمات رائعة لاعمال غوغول وليرمنتوف وبوشكين ، وغوركي وشولاخوف وآيتماتوف والعديد من الكتاب السوفييت المعاصرين في شتى جمهوريات الاتحاد السوفييتي . ولدى الدار محاولة في الترجمة الشعرية ـ وهو امر كان على الدار ان تنتبه له منذ امد بعيد ، فتسد هذا النقص ، وتلبي هذه الحاجة الماسة لدى القراء العرب للتعرف على روائع شعر اوكتوبر وما قبله ـ فقد علمت ان كتبا في الشعر سيعهد بترجمتها الى شعراء عرب معروفين ، موجودين في موسكو اما للدراسة او للعمل او لكلا الغرضين . فمثلا قام الشاعر السوداني المرموق جيلي عبد الرحمن بترجمة شعرية لبعض دواوين ومجاميع الاشعار ، مثل اشعار (آباي) ، الشاعر القازاخي المشهور ، وسواها .

ولا تغفل الدار الكتاب الذين احتفل بيوبيلهم المئوي او الخمس والسبعيني في هذا العام ، ومنهم ايفان بوغني (مرور مائة عام على ولادته) والكسندر كوبرين (مرور مائة عام على ولادته كذلك) ، وسرجي يسيني (٧٥ عاما) وادوارد باغريتسكي (٧٥ عاما) وسواهم . فقد علمت ان الدار ستقوم بترجمة قصص لبونين وكوبرين ، مجموعة في كتاب واحد ، او منفصلة . والحق ان القارىء العربي يتوق ، منذ زمن طويل ، للتعرف على روائع قصص بونين وكوبرين ، اللذين اغنيا الادب الروسي والعالمي باعمال اصيلة متفردة تشهد بعبقريتهما القصصية .

* * *

ويشهد كاتالوج الكتب التي ستنشرها الدار في عام ١٩٧١ على سعة وتنوع الحقول التي تعمل فيها . فهي ستقدم مترجمات تمتد ما بين مؤلفات لنين العميقة والغنية بالتحليل العلمي الفذ والكتب التدريسية في اللغة الروسية . وفي جعبة الدار ، في هذا المنطلق الواسع مترجمات في سلسلة «مكتبة الاشتراكية العلمية» وفي سلسلة المؤلفات الاجتماعية ـ السياسية ، وسلسلة المؤلفات السياسية الشعبية ، وكذلك في السلسلة الادبية التي تواليها الدار منذ زمن ، وسلسلة «كتب للاطفال والاحداث» .

ومن بين مؤلفات لنين سيطلع القارىء العربي مجموعة مقالات لنين بعنوان «حول كومونة باريس» ، ومقالته الشهيرة «رسالة الى العمال الاميركيين» وكذلك الكتاب الذي يحمل عنوان «الكارثة المحدقة وكيف نحاربها» . ويتحدث الكتاب الاول عن العبر التي ينبغي ان تستخلص من تجربة تشكيل اول دولة للعمال في العالم ، والمقصود بها كومونة عمال باريس في القرن التاسع عشر . اما رسالة لنين الى عمال اميركا فتتحدث عن النظام الاجتماعي السوفييتي الوليد وتفضح وتدين الامبريالية الامريكية التي قامت بالتدخل المسلح ضد الجمهورية السوفييتية الفتية . اما كتاب لنين عن الكارثة فيفيض في

بسط اسباب الوضع الاقتصادي العسير الذي تخبطت فيه روسيا ، ويشير الى ان الطريق الوحيد للخلاص هو الثورة الاشتراكية .

ولا تقتصر كتب لنين على هذه السلسلة فقط ، فهي تجد لنفسها مكانا في سلسلة «مكتبة الاشتراكية العلمية» . فالى جانب كتاب ماركس وانجلز (في الاستعمار) ، وستقدم الدار عملا للنين مشتركا مع ماركس وانجلز في مجموعة «حول المجتمع الشيوعي» ، كما ستقدم كتبا مفردة مستقلة للنين تحت عناوين «ضد التحريفية ، دفاعا عن الماركسية» و«عن الامبريالية والامبرياليين» و«في الاممية البروليتارية».

ويتحدث كتاب لنين في التحريفية عن سائر صنوف الانتهازية والجمود العقائدي وفيه يقرر لنين حقيقة اكد صوابها التاريخ وعصرنا هذا على وجه الخصوص ، وذلك حين يقول : «من ديالكتيك التاريخ ان انتصار الماركسية النظري يجبر اعداءها على ارتداء لباس الماركسية . ان اللبرالية المتعفنة داخليا تحاول ان تنعش نفسها بصورة الانتهازية الاشتراكية» .

وبالامكان ملاحظة الاهتمام الفائق الذي توليه الدار لنشر اعمال لنين ، ويفسر ذلك بحلول العام اليوبيلي المئوي لميلاده (١٩٧٠) وهو الذي احتفل به الاتحاد السوفييتي والمعسكر الاشتراكي والبشرية التقدمية فاطبة ، كما يفسر بان اعمال لنين هي المحور والبوصلة التي يهتدي بها بناة المجتمع السوفييتي المعاصر ، والاشتراكيون في العالم اجمع .

فاذا جئنا الى سلسلة المؤلفات الاجتماعية ـ السياسية ، فاننا سنجد الدار تعد بتقديم كتاب ضخم بعنوان «الدولة السوفييتية والقانون السوفييتي» وهو لجماعة من المؤلفين . اما المؤلفات في الاقتصاد (كما يسميها الكاتالوج) فتقدم كتابا بعنوان «اسس تنظيم الانتاج الزراعي في الاتحاد السوفييتي» ، الى جانب الكتاب الموسوم «اسس تنظيم المالية العامة والتسليف في الاتحاد السوفييتي» وكتاب «اسس تنظيم الصناعة والبناء في الاتحاد السوفييتي» لعمروف وكتاب غوغول المعنون «اسس تنظيم التجارة الداخلية في الاتحاد السوفييتي».

على ان اضخم كتاب من ناحية الحجم ، والاهمية معا (في الكتب التي تبحث حياة الاتحاد السوفييتي المعاصرة) هو كتاب بيبفاتوف وفيدوسوف المعنون «تاريخ الاتحاد السوفييتي» الذي يقع في ٥٩٢ صفحة .

ومن «المؤلفات السياسية ـ الشعبية» (كما يسميها الكاتالوج)، سيكون بحوزة القارىء العربي كتاب مثل «اسس المعارف السياسية». ويقول الكاتالوج عنه انه «يتضمن الحد الادنى من المعارف السياسية الضروري لكل فرد » . وقد وضعه فريق من العلماء والشخصيات الاجتماعية السوفييت البارزين .

كما ستقدم الدار كتاب كوريونوف «الامبريالية الامريكية حصن الرجعية العالمية الرئيسي» . والكتاب معد لجميع القراء ، وفقا لشهادة الكاتالوج . وميزته الهامة انه «يحلل السياسة الخارجية الحالية التي تنتهجها الولايات المتحدة الامريكية ، وبالاستناد الى مجموعة كبيرة من الوقائع ، غير المعروفة كثيرا في جملة من الاحوال » .

اما سلسلة «نمط الحياة السوفييتي» فتعد بتقديم كتابين هامين هما «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» و«الاركان العامة السوفييتية في اعوام الحرب» . وضع الكتاب الاول لفيف من العلماء المرموقين مثل الاكاديمي رجبوف ، والدكتور في العلوم الاقتصادية اناكليتشيف ، والاكاديمي فرزيقولوف ، والشخصيات الاجتماعية البارزة مثل ب. رمضانوفا ، و ل. عليمجانوفا ، و ر. ايلداروفا ، ورؤساء الادارات الدينية والطوائف الدينية الاسلامية (المفتي ضياء الدين باباخانوف، والامام علي فريبيف ، والامام محمد الليف ، والمفتي خيال الدينوف ، والمفتي قربانوف ، والقاضي قولييف) .

اما كتاب «الاركان العامة السوفييتية في اعوام الحرب» لمؤلفه شتيمنكو ، فهو كتاب لا غنى عنه ، في رأيي ، لكل قارىء . ذلك ان مؤلفه عالم وقائد عسكري محنك ، فقد كان رئيسا لمصلحة تخطيط العمليات في الاركان العامة السوفييتية » . ويتحدث المؤلف بصراحة عن المصاعب التي اضطرت القوات السوفييتية الى تذليلها في مختلف مراحل هذه الحرب القاسية التي لا سابق لابعادها . والكتاب غني جدا بالوثائق ، وكذلك بالصور التي كانما تكمل الحديث عن المعارك العظيمة في سنوات ١٩٤١ ـ ١٩٤٥ » .

* * *

ويحتل «الادب» حيزا محدودا ، اصغر مما تحتله الحقول الاخرى من الثقافة الاجتماعية ـ السياسية وسواها . وهنا سيطلع القارىء في سلسلة «مقاطون في سبيل وطنهم السوفييتي» (وهي التي يمكن تسميتها ، في رأينا ، بصفحات من ادب المقاومة السوفييتي) ، على كتاب اغناتوف المعنون «الاخوان ايفناتوف» ، وعلى كتاب كاسيل «خط المواصلات» ، وكتاب «كيف تنتهي الحروب» (قصص وذكريات المساهمين في الاحداث) . وجدير بالذكر انه قد صدرت في هذه السلسلة عدة كتب منها »قصة انسان حقيقي» لبوليفوي و «رفاق الطريق» لبانوفا و«في خنادق ستالينجراد» و«ابطال قلعة بريست» .

فاما الكتاب الاول «الاخوان ايفناتوف» ـ والذي كان لي شرف ترجمته ـ يحكي قصة حرب الانصار في الكوبان، في اقليم كراستودار، في القفقاس . والذي يحكي القصة ـ وهو المؤلف ايضا ـ هو اب لشابين بطلين استشهدا في معارك المقاومة ضد الفاشست في كراستودار . والأب نفسه كان قائد فصيل الانصار الذي قاتل فيه ابناه . وقد منح ابناه الشهيدان لقب «بطل الاتحاد السوفييتي » ، وباسميهما اسمي العديد من المدارس والمكتبات والشوارع والقطر والبواخر . وقد استشهد الابن الاصغر عن ستة عشر ربيعا ، وكان مثالا يحتذى في الصلابة والصمود والوان البطولة الانسانية .

اما كتاب كاسيل «خط المواصلات» ، الحائز على جائزة الدولة، فهو مكرس ايضا مثل سالفه للحرب الوطنية العظمى ضد الفاشية (الحرب العالمية الثانية) . وهو يحكي مثل سابقه ايضا قصة واقعية لجندي المواصلات الذي عض القابلو باسنانه ليبعث خط المواصلات، وعمال السكك الحديدية «الذين رافقوا تحت وابل القنابل عربة تنقل كتبا مدرسية الى المناطق المحررة من الفاشيين ، والاطفال الذين اشتركوا الى جانب الكبار في كفاح الشعب كله ضد العدو» .

ومن بين مؤلفي الكتاب الثالث «كيف تنتهي الحروب» مارشال الاتحاد السوفييتي ايفان كونييف ، القائد العسكري البارز ، احد المساهمين في عملية برلين ، والكاتب فيشينفسكي الذي حضر توقيع وثيقة استسلام المانيا الهتلرية ، والشاعر سوبوبين المشارك في معركة الرايخشتاغ ، والمترجمة رجيفسكايا التي فيض لها ان تقتحم ملجأ هتلر تحت الارض . ويحكي الكتاب احداث الايام والساعات الاخيرة من الحرب العالمية الثانية ، التي عاشها المشاركون في معركة برلين .

كما سيطلع القراء العرب في السلسلة الادبية الثانية التي يواليها الدار ، وهي التي تحمل اسم «مؤلفات كلاسيكيي الادب الروسي» ، على رواية «دوبروفسكي» لبوشكين . وهي رواية رائعة تحدث عنها الناقد الروسي الشهير بيلينسكي ، في القرن التاسع عشر ، فقال يصور بوشكين نمط حياة النبلاء الروس القديم ، كما ينعكس في شخص تروبكوروف ، بغاية الكمال . ان رواية «دوبروفسكي» من اعظم تحف عبقرية بوشكين» . ومن الجدير بالذكر ان هذه الرواية قد اعدت للسينما ، وهي تعرض على شاشات دور السينما السوفييتية .

هذا كل ما تعد به الدار في حقل «الادب الفني» .

وتسد الدار النقص في حقل «ادب الاطفال» فتقدم كتابا

لغاغارين «الفاتح الاول للكون» بعنوان «ارى الارض» ، كما وتقدم مجموعة قصص للاطفال عن لنين بعنوان «النيران» . وفي جعبة الدار، في هذا الحقل ما كتب مثل «حكايات من لتوانيا» و«ابباليت» لتشوكوفسكي و«السيرك» لمارشال و«حكايات وصور» لسوتييف .

★★★

ومن حصيلة الجولة التي قمنا بها والقارىء في رياض ثمار مختار دار التقدم الثقافية التي تعد بها في عام ١٩٧١ ، ينشأ لدينا انطباع لا مرد له ، يقول بان الدار تحاول ، فعلا ، وعلى نحو واقعي، تلبية حاجات القارىء العربي الثقافية في الادبيات الانسانية ، على ان نشاطها هنا محدود بالامكانيات المتيسرة لديها . ومن هذه الامكانيات: امكانيات الطباعة وهي محدودة جدا فاسرة تحرير القسم العربي تشارك جريدة « انباء موسكو » الاسبوعية في مطبعة واحدة محدودة الامكانيات هي الاخرى) . ومن هذه الامكانيات ايضا ما رصد للقسم العربي عموما ، وهو في رأيي لا يعني بمتطلبات توسع علائق الصداقة والتعاون الثقافي والعلمي والتكنيكي والمبادلات الادبية والثقافية السوفياتية ـ العربية . فكل العاملين في الترجمة الاحترافية في الدار لا يتعدون السنة ، وتستعين الدار بمترجمين غير محترفين . ولا بد من القول ان هذا لا يمكن ان يسد بحال حاجات القراء العرب المتسعة باطراد ، في الوطن العربي الكبير ، الواسع الارجاء ، الرحب الامكانيات والافاق، والذي بقطنه اكثر من مائة مليون مواطن ، عرف عن جمهور القراء فهم الشغف المنقطع النظير بالادب الواقعي الانساني العالمي ، ومنه الادب الروسي ، والسوفياتي المعاصر .

ومن الملاحظات التي سيلاحظها القارىء صغر حجم المنشور في « الادب الفني » نسبة الى ما ينشر في الحقول الاخرى في العلوم الانسانية التي تختص بها الدار (بمقابلة « العلوم الطبيعية » التي يختص بها دار نشر اخرى في موسكو هي دار « مير »). ان نشر اربعة كتب في الادب الفني في مدى عام كامل لا يمكن ان يعتبر في مستوى ما ينبغي ان يكون من نشر الادب السوفياتي باللغة العربية، ومن تلبية حاجات القراء العرب الى هذا اللون من المعرفة ، كما لا يمكن ان يكون بحال في مستوى الصداقة والتعاون العربي ـ السوفياتي المتسع باطراد ، في تضاعيف اتساع التحالف العريض بين قوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطني العربية وسواها ضد الامبريالية والصهيونية .

على ان شيئا واحدا يظل بمثابة عزاء ، وهو ان الدار تسعى لتوسيع ملاكاتها ، ومضاعفة نشاطاتها الثقافية في كل مجال ، وهو امر يمكن ملاحظته وتتبعه في اعمال الدار من عام لعام . وسنظل ننظر الى المستقبل بعين الثقة دون ان نفقد الحس النقدي البناء، حريصين قبل كل شيء على مصلحة القارىء العربي والصداقة العربية السوفياتية على حد سواء .

موسكو — جليل كمال الدين

★★★

الولايات المتحدة

ماركوز واليسار الاميركي

اجرى مراسل « الابزيرفر » اللندنية تشارلز فولي حديثا طويلا مع الاستاذ هيربرت ماركوز ، الفيلسوف الاميركي البالغ من العمر ٧٢ سنة الذي الهمت رؤياه عن مجتمع متحرر الطلاب المتمردين في جميع انحاء العالم الغربي . وقال المراسل ان ماركوز ليس بين الذين يعتقدون ان الثورة وشيكة في الولايات المتحدة . فهو يخشى ان يكون الكبت والقمع قد ازداد في ظل الرئيس نيكسون الى حد ان اميركا قد تكون البلد الاول الذي تدخله الفاشية بواسطة التصويت الديموقراطي .

وقال المراسل ان ماركوز اعطاه هذا التحليل القاتم الاسبوع الماضي في جامعة كاليفورنيا حيث قاوم لخمسة اعوام ، تحت الضغط المتزايد، هجمات الجمعيات اليمينية المتطرفة وامناء الجامعة وحاكم ولاية كاليفورنيا رونالد ريغان ، واخيرا نائب رئيس الجمهورية سبيرو اغنيو . وتكاد المعركة ان تكون انتهت الان . فقد انهى تعيين الدكتور ماركوز في الجامعة ، ولن يجدد هذا التعيين . ومع ان ماركوز حرم الان من رتبته ومرتبه ومعظم تلاميذه ، فهو لا يتذمر من الجامعة ، التي يقول انها وقفت الى جانبه ، ويأمل في ان الحرية من الروتين ستعطيه فرصة للوصول الى جمهور اوسع بالكتب والمحاضرات .

ونسب المراسل الى ماركوز قوله : :« منذ ان تولى نيكسون الحكم اصبح الاضطهاد في اميركا اسوأ بكثير . والفكرة القائلة ان جامعاتنا يسيطر عليها اليسار هي دعاوة خبيثة . فالعكس هو الصحيح . اسأل زملائي الذين كانوا نشيطين سياسيا بالطريقة « الخطأ » . ان حق التفكير والتعبير بحرية يتعرض للخطر اكثر من اي وقت مضى. وبالنسبة لليسار اصبحت المسألة مسألة بقاء كحركة سياسية نشيطة. وليست لدينا حالة ثورية . ولن تقوم هذه الحالة لوقت طويل » .

وماذا بشأن اعمال اطلاق النار وتفجير القنابل في جميع انحاء البلاد ؟ يقول المراسل ان ماركوز ، الذي يدافع عن اضطرابات الطلاب بوصفها احتجاجا عميق الجذور ضد عار « دولة الرفاه والحرب »، يدعي ان الكثير من الاعمال المسندة الى اليساريين المتطرفين يقوم بها في الواقع عملاء تسللوا الى صفوفهم :« وعلى اية حال اعتبر هذا النوع من العنف قاهر للذات . ويرحب به الذين يتوقون الى اجراءات اقوى . وبالفعل انني ارى بداية ثورة مضادة وقائية من اليمين. واليسار مبعثر » . ويرفض ماركوز كذلك الحجة القائلة ان « الاسوأ افضل » على امل ان يؤدي قيام دولة بوليسية الى اثارة انتفاضة جماهيرية . ويقول بحدة :« هذا تفكير خطر جدا . فالنظام قوي الدعائم ولديه كل الوسائل للقمع . وكما رأينا في اماكن اخرى ، فانه ما ان تنجز الفاشية عملها ، حتى تصبح المعارضة محطمة » .

« الحماقة النهائية »

ولاحظ المراسل ان طموح ماركوز هو ان يشجع قيام « لقاء » بين الطلاب والطبقة العاملة : « لا يستطيع الطلاب ان يفعلوا كل شيء دون هذا الدعم الجماهيري ، وهم يعرفون ذلك . ولكن الجهود لتجنيد الطاقة العاملة لم تنجح . فان قسما كبيرا من العمال يربطون انفسهم بمواقف يمينية . وبعد تبنيهم لقيم الطبقة الوسطى ، وجدوا روحهم في الاجور العالية واجهزة الهاي فاي والمنازل المريحة واقتناء السيارة الثانية . ويرفضون المخاطرة بازدهارهم النسبي من اجل افكار مجردة وطوبوية . ولكن هذا لا يجوز . فالانسانية لا توجد في الولايات المتحدة وحدها . ولا نستطيع ان نباهي بتسامحنا الديموقراطي المزعوم فيما نسلم البلدان الاخرى الى الدكتاتورية والحرب » . والحركة الطالبية فقد تبدأ في تثقيف الجماهير وايقاظها الى الحقيقة ـ ان القناعة بارضاء احتياجاتها الزائفة انما يحضرها للحماقة النهائية، الحرب الذرية ، ولكن وقوع ضربة اقتصادية حادة قد تساعد على تغيير نظرة الجماهير ، واننا منذ الان في ازمة اقتصادية كبرى من نوع ما » .

وقال ماركوز للمراسل كذلك :« ان كل شيء ابتدأ دائما بثورة تقودها قبضة من رجال الفكر . والماركسية الروسية جامدة وماركسيتي انا مرنة . ولا بد من امتحان مفاهيمها دائما على الواقع » .